

موقع الهوية اللغوية العربية في الرؤية اللغوية للعالم: دراسة لسانية-اجتماعية

سعيد ياسين جواد

قسم اللغة العربية/كلية الآداب/ جامعة ذي قار

Saidjaffar@utqedu.iq

تاريخ نشر البحث: 2021/7/15

تاريخ قبول النشر: 2021/6/16

تاريخ استلام البحث: 2021/5/28

الخلاصة

يقوم هذا البحث بدراسة وصفية تحليلية لتطور مفهوم "رؤية العالم"، إذ ظهرت بحوث حديثة تؤكد الخلط بين مصطلحين في الألمانية. ويستعرض جهود اللسانيين الروس بخصوص المفهوم وتطوره ودراسته في اللسانيات الروسية الحديثة والمعاصرة. ويقوم البحث باستعراض بعض البحوث الأكاديمية العربية الخاصة بدراسة مفهوم "رؤية العالم". ويستعرض ويحلل ظاهرة العلاقة الخاصة بالرؤية اللغوية العربية للعالم، وعلاقتها بالرؤيتين الدينية والذكورية للعالم. أما النتائج التي توصل إليها البحث فنوجزها بما يلي: أولاً: جرى الخلط بين مفهومين بالألمانية هم weltanschauung و weltansicht، وكانت مهمة البحث الفصل بين المصطلحين وتحديد هومبالت للمصطلح المستخدم. ثانياً: استعراض تطور فهم الموضوع في اللسانيات الروسية التي تبنت مفهوم فايسجيربر، وأن المفهوم وتسميته ظلاً قلقين لمدة طويلة. ثالثاً: إثبات خصوصية اللغة العربية في ارتباط الرؤية اللغوية للعالم بالرؤيتين الدينية والذكورية للعالم.

الكلمات الدالة: رؤية العالم، اللغة العربية، هومبالت، فرضية سايبير-وورف، اللسانيات.

The Position of the Arabic Linguistic Identity in the Linguistic Vision of the World: A Socio-linguistic Study

Saeed Yaseen Jawad

Department for Arabic language /College of art/ Thi Qar University

Abstract:

this research studies with descriptive-analytic approach the development of world view concept, since new research emerged that affirms the confusion between the two concepts in German language. The research as well presents Russian linguists efforts concerning the concept in Russian modern linguistics. The research presents also the relation between Arabic linguistic world view and religious and patriarchal world view. The results of the research: first: there is a confusion between two concepts in German language, weltanschauung and weltansicht, and the task of the research was to distinguish the two concepts and specify the concept used by Humboldt. Second: presenting the developing of the concept of world view in Russian linguistics, which embraced the concept that Weisgerber used. Third: affirm the particularity of Arabic language in the connection between language world view and religious and patriarchal world views.

Key words: world view, Arabic language, Humboldt, Sapir-whorf hypothesis, linguistics.

1- المقدمة

تعد نظرية "الرؤية اللغوية للعالم" إحدى النظريات المهمة في اللسانيات، وهي نظرية شغلت أيضا فلسفة اللغة والفلسفة لعقود كثيرة، وكتب عنها الكثير من البحوث والكتب في الدرسين الغربي والروسي، إذ يمتاز الدرس اللساني الروسي بالاهتمام بالمسائل النظرية في اللسانيات قياساً إلى الدرس الغربي الذي يهتم كثيراً بالجوانب الإجرائي. بيد أن الدرس اللساني والفلسفي العربي يخلو تقريباً من البحوث والكتب المترجمة الخاصة بهذه النظرية، رغم أن رؤية العالم فيما يخص اللغة العربية تحمل إشكاليات وتعقيد، بسبب العلاقة المعقدة بين الرؤية اللغوية والرؤيا الدينية للعالم، ويأتي دور المجتمع الذكوري وأيضاً هناك عامل رابع هو الذكورية الجندرية في النحو العربي، كما سنناقش في مضمار البحث. وسيكون هنالك عرض لبعض البحوث والكتب التي صدرت بالعربية حول الموضوع، في جوانب الترجمة والتأليف. لذا رأينا أن نتناول الموضوع من جانبه النظري العام وإشكالاته، وتناول إشكالية المصطلحات في اللغة الأصلية أي الألمانية، وتناول ترجمتها إلى العربية، واقترحات الباحث بهذا الخصوص، قبل تناول موقع الهوية اللغوية العربية في "رؤية العالم".

يعتمد البحث فلسفة اللغة منطلقاً للبحث، بيد أن البحث ينحو، في الجوانب الخاصة بعلاقة الهوية اللغوية العربية وعلاقتها برؤية العالم، منحى يندرج ضمن اللسانيات الاجتماعية، فالنقاش الخاص بالجندرية النحوية والمجتمع الذكوري هي مواضيع تناقشها اللسانيات الاجتماعية، لذا يحدث تداخل بين اللسانيات الاجتماعية وفلسفة اللغة في مواضيع كثيرة. ولذا كان تعلق أحد العناوين الفرعية للموضوع منهجياً باللسانيات الاجتماعية. لهذا السبب ارتأينا توضيح علاقة العنوان وتفصيلاته بمتن البحث.

2- مشكلة البحث: تحديد الفرق بين مصطلحي weltanschauung و weltansicht عبر تتبع تأريخي وفكري لهما. وتناول ظاهرة العلاقة الخاصة بين الرؤية اللغوية فيما يخص اللغة العربية وعلاقتها بالرؤية الدينية للعالم.

3- أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كونه يكشف لأول مرة الفرق بين مصطلحين في الألمانية يمثلان "رؤية العالم" جرى توصيفهما واستخدامهما لأكثر من ثمانين عاماً بشكل خاطئ، وي طرح البحث تعريفاً نظرياً لمفهوم "رؤية العالم" الذي تفتقر الدراسات اللسانية والفلسفية العربية إلى الدراسات حوله. ويتحدث البحث أيضاً عن جهود اللسانيات الروسية، إذ اهتم الدرس الأكاديمي الروسي كثيراً بالجوانب النظرية في اللسانيات وبالذات نظرية "رؤية العالم". ولما كان الدرس الأكاديمي العربي يفتقر إلى التعريف بجهود اللسانيات الروسية لذا ارتأينا تعريف الباحثين والقارئ العربي بالموضوع. وي طرح البحث تحري العلاقة بين الهوية اللغوية العربية والرؤية الدينية للعالم، إذ إن العربية لها خصوصية بوصفها لغة وللمجتمع والتأريخ العربي أيضاً خصوصيته.

4- أهداف البحث: التفريق من خلال التتبع التاريخي والنظري، بين مصطلحي weltanschauung و weltansicht وكشف الجوانب العميقة في ظاهرة علاقة الهوية اللغوية العربية بالرؤية الدينية للعالم.

5- الجانب النظري

إشكالات مصطلح "الرؤية اللغوية للعالم"

أ - إشكالات المفهوم في الدراسات اللسانية الغربية

مفهوم "الرؤية اللغوية للعالم" ليس قديماً في إطار دراسات فلسفة اللغة، فقد طور عالم اللسانيات الألماني فلهلم فون هومبلت مفهوم "لوحة العالم في الربع الأول من القرن التاسع عشر، ليس من لاحقاً مصطلح "الرؤية اللغوية للعالم" من اللساني الألماني جوهان ليو فايسغيربر في النصف الأول من القرن العشرين. وقد جرت الإشارة من عالم اللسانيات الألماني فلهلم فون هومبلت إلى أن اللغة هي واحدة من "البدايات المؤسسة للإنسان": الإنسان يصبح إنساناً فقط من خلال اللغة لكونها تخلق نظرة الإنسان للعالم، تخلق رؤيته للعالم، وهنا لا يقصد بذلك اللغة بشكل عام بل لغة شعب محدد". ويضيف مؤكداً "أن الفرق بين اللغات في جوهره ليس فرقاً فحسب بل فرقاً في الجوهر بين اللغات في تأثيره على الوعي وعلى المشاعر وبذا يصبح فرقاً في النظرة إلى العالم". [1، ص 372]. وفي حين يعرف دي سوسير اللغة بأنها "نسق إشاري يعبر عن الأفكار" [2، ص 16]

ونجد هنا أن الفرق بين التعريفين واضح جداً، ويعكس تغيراً عميقاً في الفكر اللساني الغربي في خمسين عاماً من الربع الأول للقرن التاسع عشر إلى الربع الأخير منه. فتعريف هومبلت يعكس رؤية الرومانسية الألمانية، في حين يعكس تعريف دي سوسير تأثير الفكر العقلاني، وما رافقه من ظهور حلقة فيينا والمدرسة التحليلية اللتان أبعدتا كل ما هو ميتافيزيقي خارج إطار الخطاب الفلسفي واللغوي. فتعريف اللغة بأنها "نسق إشاري" يقع على الجانب المعاكس من تعريف اللغة كونها "روح الشعب"، فالأول عملي مادي والثاني روماني ميتافيزيقي.

وقد طرح مفهوم "رؤية العالم" لأول مرة في الفيزياء من عالم الفيزياء هيرتز في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. وينظر هيرتز إلى العالم بوصفه مجموعة من العلاقات الفيزيائية، أو كما يعبر هو "مجموع الصور الداخلية للأشياء الخارجية، التي يمكن من خلالها وبإنتهاج الأسلوب المنطقي الحصول على المعلومات الخاصة بسلوك تلك المواد". [3، ص 208]

والعالم الآخر الذي ذكر مصطلح لوحة العالم بشكل مكثف هو بلانك، الذي عد لوحة العالم صورة العالم التي يصنعها علم الفيزياء عاكساً فيها القوانين الحقيقية للطبيعة. وقد كان هو العالم الأول الذي وضع حدوداً واضحة بين اللوحة العملية واللوحة العلمية للعالم. إذ عد الأولى التصور المتكامل عن العالم التي يكونها الإنسان تدريجياً عبر معاناته، بينما تشكل اللوحة العلمية للعالم نموذجاً للعالم الحقيقي بالمعنى المطلق وليس عبر الرؤية الخاصة للأشخاص المختلفين أو التفكير الإنساني العام [ينظر: 4، ص 13] العالم الآخر الذي تناول الموضوع وطوره هو ألبرت آينشتاين الذي كتب يقول: "يحاول الإنسان وبطريقة ما دقيقة أن يكون لنفسه لوحة مبسطة وواضحة للعالم لكي يفصل عن عالم المشاعر كي يحاول حين يصل إلى مستوى معين أن يغير هذا العالم الذي أوجدته تلك اللوحة. ويقوم بذلك الفنان والشاعر والفيلسوف والمنظر والباحث في العلوم الطبيعية ولكن كل على

طريقته. وينقل الإنسان إلى هذه اللوحة مركز الثقل في نشاطه الحياتي الروحي كي يحصل عبرها على الطمأنينة والثقة التي لا يستطيع أن يحصل عليها في الدورة اليومية لحياته التي لا تمنحه سوى الدوار". [5، ص 136].

منذ ظهور فرضية سابير- وورف في العقدين العشرين إلى الثلاثين من القرن العشرين، التي وضعها عالما اللسانيات والأنثروبولوجيا إدوارد سابير وبنجامين لي وورف، حدثت الكثير من النقاشات والبحوث والتساؤلات بخصوص هذه الفرضية. فهذه الفرضية التي كانت تطويراً لطروحات علماء اللسانيات والفلاسفة الألمان، غدت اتجاهًا كبيراً متنوعاً في اللسانيات المعاصرة عموماً، وفي الاتجاه البنوي في اللسانيات بشكل خاص، وهو الاتجاه الذي قاده علماء اللسانيات الأمريكيان بعد أن وضع دي سوسير أسسه في عمله "محاضرات في اللسانيات العامة".

ولو أردنا معرفة إشكاليات مصطلح "رؤية العالم" يجب علينا أن نعرف ما قالت به البحوث الأحدث في هذا المجال وأهمها بحث للباحث الأمريكي جيمس أندر هل James Underhill من عام 2009 وبعنوان "هومبلت، رؤية العالم، واللغة"، إذ طرح وبالأدلة تصحيحاً للمصطلح المستخدم من اللسانيين متنبعاً آثار المصطلح حتى التظيرات الأولى بخصوص المفهوم، التي قال بها هومبلت، منطلقاً من تراث أساتذته حول الموضوع وهما هامان ثم هيردر.

مصطلح "رؤية العالم" ذو ماضٍ متنوع. فبالنسبة للكثير من اللسانيين الفرنسيين هو من أصل أمريكي مرتبط بفرضية سابير- وورف اللذان افترضا أن اختلاف اللغات ينتج عنه اختلاف تركيبي ثقافي وفعلي لعقل المتحدث المنتمي إلى تجمع لغوي معين. [ينظر: 6، ص 14]

تتبع آثار المصطلح يظهر أن بنجامين لي وورف استخدمه وقبله استخدمه أستاذ إدوارد سابير عند تناولهما لأعمال أستاذهما فرانز بواس، الذي كان قد طرح مؤكداً على أهمية اللغة بالنسبة للثقافة عبر بحثه عن لغات الهنود الحمر.

لقد كانت مواجهة ثقافات ولغات مختلفة في أميركا الشمالية هو الذي أجبر اللسانيين الأمريكيين على إعادة تقويم بعض مقدماتهم الأساسية حول اللغة.

يجب الحديث أولاً عن أن بواس وسابير من أصل يهودي ألماني، إذ كان لذلك تأثير في جلب المعرفة الخاصة باللغتين الألمانية والعبرية ورؤيتهما للعالم كبديل لرؤية العالم في اللغة الإنجليزية. ومن جانب آخر فإن بنجامين لي وورف دخل إلى لغات أجنبية مثل شخص يدخل عالماً مجهولاً، وهذا أدى إلى أن يصبح دوره في الفرضية الخاصة بالنسبية اللغوية فيه راديكالية مضمرة بخصوص موضوع الفروق بين اللغات. فهو يقول: إن النظام اللغوي كخلفية (بتعبير آخر النحو) في كل لغة، هو ببساطة ليس أداة للتعبير عن الأفكار، بل بالأحرى هو الذي يشكلها، هو البرنامج والدليل إلى النشاط الذهني للفرد، في تحليله للانطباعات. [ينظر: 7، ص 52]

وهكذا أصبح هنالك استقبال سئ لمفهوم "لوحة العالم" بسبب الراديكالية التي تبناها بنجامين لي وورف، وأن اقتباس بعض عباراته من ديفيد كرسنل مثلاً، خلق غموضاً في العلاقة بين اللغة والعقل وحول مفهوم "رؤية العالم"

بالذات، رغم أن ديفيد كريستل رفض العلاقة الجبرية المتطرفة بين اللغة والتفكير التي قال بها بنجامين لي وورف [ينظر : 8، ص 15].

لقد استخدم وورف مصطلح weltanschauung في مؤلفه "اللغة والفكر والواقع" الصادر عام 1956، وهذا الأمر قاد إلى أن اللسانيين الآخرين حذوا حذوه ووضعوا اقتباسات تشير إلى أن هومبلت هو من سنّ هذا المصطلح.

بيد أن اللساني ديفيد ك. نوجل في مؤلفه "رؤية العالم: تأرخة المصطلح" يعيد مصطلح weltanschauung إلى كانت، ويؤكد أن كانت استخدمه بشكل عابر. ويشير إلى استخدام هيغل له في الربط بين الفكر الديني والفلسفي، واستخدمه فيخته بكثرة. [ينظر : 9: ص 9 و ص 60]

ويؤكد الباحث نفسه أن تتبع المصطلح يعيده إلى القرن التاسع عشر، بيد أن النقاشات -كما يؤكد الباحث- تقود حقاً إلى أن المصطلح جرى سنّه في أواخر القرن الثامن عشر. [ينظر : 9، ص 57]

ويظهر تناول نوجل للمفهوم إلى فشل الثقافة الناطقة بالإنجليزية في فهم الفكرة الكامنة وراء مفهوم "رؤية العالم". فلم يفلح الفهم الموجود في الثقافة المتكلمة بالإنجليزية بشكل مقنع في فهم المعنى الكامن في مفهوم رؤية العالم لدى هومبلت، أي رؤية العالم كونها عملية حتمية وأساسية يقوم بها العقل لصياغة العالم بوساطة ملكة اللغة. فالقدرة الإنسانية هي التي خلّبت لب هومبلت، وغدا التجريب المثابر للطرق المختلفة لفهم العالم وتنظيم مفاهيمه أمل هومبلت لجعل رؤية العالم أداة مفاهيمية أساسية لفهم وتصنيف اللغات. [ينظر : 9، ص 64]

لقد خسرنا فهم هومبلت لرؤية العالم في اللغتين الفرنسية والألمانية، بل في الألمانية إلى حد كبير. فمساهمة هومبلت في النقاش الدائر حول "رؤية العالم" كان لتطوير مفهوم weltansicht وليس weltanschauung، حيث أصبح المفهوم الأخير هو مدار النقاش في الدوائر اللسانية والفلسفية الفرنسية والإنجليزية، وكل ذلك سببه فهم بنجامين لي وورف للموضوع وتوظيفه الخاطئ لمصطلح weltanschauung. [ينظر : 6، ص 57]. فنحن نلاحظ مثلاً أهم اللسانيين الماركسيين نغني آدم شاف حين يتحدث عن "رؤية العالم" وفرضية سابير وورف يدرج مصطلح weltanschauung الذي لم يعنه هومبلت بوصفه مفهوماً مركزياً في نظريته. [ينظر : 10، ص 46 و ص 47]، فلم يجر التفريق بين المصطلحين إلا في العقود الأخيرة، حين طرح المختص في هومبلت يورغن ترابانت رأيه في ضرورة التفريق بين المصطلحين.

يحمل مصطلح weltanschauung معاني عديدة، لكنه استخدم غالباً ليشير إلى موقف شخصي، نظرة للعالم هي أقرب للحدس منها للفلسفة. ولهذا السبب كان المصطلح مثيراً للاهتمام لدى الرومانسيين مانحاً إياهم بديلاً لمفهوم العقل، الذي طرحه مشروع التنوير بديلاً للميتافيزيقا الممتدة منذ زمن السكولائية المسيحية. بيد أن تغييراً طرأ عليه في القرن العشرين إذ جرى ربطه ليس بالفرد بل بالجماعات، ولذا استخدم سياسياً وكأنه مرادف لمفهوم الإيديولوجيا في الخطاب النازي بالذات.

لقد وضع يورغن ترابانت، وهو أهم المتخصصين في هومبلت، وصاحب كتاب "هومبلت أو معنى اللغة" الصادر عام 1992، الفرق الجوهرية بين المفهومين، نعني weltanschauung و weltansicht فالأخير يشير

إلى الطريقة التي يقوم فيها النسق اللغوي بصياغة المفهوم والأدوات لإدراك العالم، وإلى حد كبير بصوغ طريقة تعاملنا في الحياة عبر الأساس اليومي للتواصل أو النقاش مع بعضنا مع بعض. [ينظر: 6، ص 53-55]

وبذلك فالقوى التي تصوغ إدراكنا ومفهومنا عن العالم لا ترتفع إلى غالباً إلى مستوى الوعي - إذ إن اللغة هي المنظار وليست المادة أو الموضوع الذي نستخدمه لتركز عليه - فنحن ننزع إلى أخذ هذه الأداة بشكل بديهي . لكن، من جانب آخر، لا يعني ذلك أن الإنسان الفرد لا يستطيع العمل على "رؤية العالم" weltansicht الخاصة به، بل على العكس فقد طرح هومبلت أننا جميعاً نؤثر في رؤيتنا للعالم. فهومبلت هو الممثل الأكبر لليبرالية، التي تطالب بأن يملك الفرد مساحة كبرى للحرية.

ولذا حمل مشروع هومبلت لدراسة اللغة موقفين في علاقة ديالكتيكية : أن نأخذ بالحسبان الطريقة التي يصوغ بها النظام اللغوي الفكر الخاص بالثقافة، وأن نأخذ بالحسبان بمستوى مساو المساهمة التي يقوم بها الأفراد الاستثنائيون القادرون على إنعاش نبض الحياة في الكلام بوصفه حالة لسنّ المفهومات ولسنّ حالة التعبير .

وقد عمل الباحث دنيس ثوراد Denis Thourad على التفريق بين مفهومي weltanschauung و weltansicht لدى هومبلت، فذكر أن فهم هومبلت للمفهوم الأول أنه الحاجة الحميمة لإنتاج اللغة لتطوير القدرات العقلية وإدراك المفهوم عن العالم، وهي عملية تجعل الإنسان بحاجة إلى تبني أفكاره حين يتحدث إلى الآخرين، في حين أن مفهوم weltansicht يعمل على مستوى أكثر أساسية ويشير إلى التواصل الأول للإنسان بالواقع والعالم، أي الاتصال المحسوس والمرئي. ولذا فإن weltansicht تعمل على تشكيل weltanschauung الذي، أي المفهوم، قد يضم اعتقادات مختلفة. [ينظر: 6، ص 18]. وأن weltansicht لا تقوم بتأويل العالم، بل تجعل الإنسان قادراً على تكوين مفهوم عن العالم عبر مده بمفهوم لسانني قبلي عن العالم.

بناءً على ما تقدم يبدو مفهوم weltansicht ليس مترادفاً مع مفهوم weltanschauung، إذ يستخدم الأخير في مجالات أوسع، منها إقرانه بالأيديولوجيا أو أنساق الاعتقاد.

هنالك ظاهرتان يجب الإشارة إليهما بخصوص مساهمة فلهلم فون هومبلت في موضوع "رؤية العالم" أولهما أن فرضية سايبير - وورف التي أخذت معظم أفكارها من نظرية هومبلت حول "رؤية العالم" جعلت من نظرية الأخير نسبياً منسياً. والشئ بالشئ يذكر فهذه الفرضية التي أصبحت تسمى بالنسبية اللغوية أخذت اسمها من مصطلح النسبية لدى آينشتاين، وكان وورف هو ما أطلق مصطلح النسبية اللغوية متأثراً بمصطلح آينشتاين. [ينظر: 7 أ، ص 50]. وعودة إلى الموضوع فهناك عدة أسباب لذلك منها كون أفكار هومبلت كما يقول تشومسكي وهيدجر تنسم بالصعوبة، فهي عميقة جداً ومكثفة بشكل لا مثيل له. أما السبب الثاني فهو سطوة اللغة الانجليزية وانتشارها في القرن العشرين حيث لا يمكن تسويق أية نظرية ما لم تكن معروفة في الأوساط الأكاديمية الإنجليزية. فقد حدث الأمر نفسه مع نظرية دي سوسير التي لم تبلغ شهرتها حتى تمت ترجمة مؤلفه "محاضرات في اللسانيات العامة إلى الإنجليزية عام 1959، إذ كانت النظرية المنتشرة في السيميوطيقا هي نظرية العالم الأمريكي تشارلس ساندرس بيرس. [ينظر: 7 ب، ص 12]

السبب الثالث هو أن بنجامين لي وورف وإدوارد سابير لم يذكرهما هومبليت حين طرحا فرضيتهما، وهو أمر غريب حقاً، حين نعلم أن جوهر فرضيتهما مأخوذ من نظرية فلهلم فون هومبليت في "رؤية العالم" [ينظر: 7 أ، ص 53]. لكن وورف في بحث متأخر من عام 1963، أي بعد مرور حوالي أربعين عاماً من ظهور فرضية سابير - وورف، ذكر أن فرضيته تدين بالفضل لطروحات أساتذته سابير وبواس وأن النظرية تعود جذورها إلى هومبليت [ينظر: 7 أ، ص 54].

بيد أن هنالك دراسات حديثة كثيرة بدأت تهتم أكثر فأكثر بدور هومبليت الريادي في إرساء نظرية "رؤية العالم"، رغم أنه ليس الأول من قال بهذه النظرية، إلا أنه أرسى أسسها وكتب باستفاضة وعمق عن طرائحها الأساسية. فقد سبقه اثنان من الفلاسفة الألمان جوهان جورج هامان وجوهان جوتفريد هيردر، بحيث أطلق عليهم الهاءات الثلاث. لكن منطلق المذكورين أخيراً هو منطلق فلسفي أكثر من كونه لساني، وكان ذا بعد ميتافيزيقي له علاقة بأفكار العصر الذي ظهر فيه، إذ حاولا الدفاع عن المسيحية في وجه ضربات العقل المتلاحقة التي وجهها عصر التنوير وفلاسفته إلى معقل الميتافيزيقا المسيحية في الفكر الأوروبي.

ب - إشكالات المفهوم في الدراسات اللسانية الروسية

جرى في الدرس الأكاديمي الروسي بحث موضوع "رؤية العالم" وجرى استلهاً أفكار اللساني الألماني جوهان ليو فابيسغيربر الذي أطلق مصطلح "اللوحة اللغوية للعالم" في منتصف القرن العشرين، وحيث بقي المصطلح يتداول بصيغته الألمانية في الأوساط اللسانية والفلسفية الروسية وهو "Das Sprachliche Weltbild". وقد احتدم النقاش طويلاً في اللسانيات السوفيتية والروسية حول هذه المسألة، وكان ذلك مرتبطاً بنقد نظرية النسبية اللغوية Linguistic Relativity والتي كان فيسجيربر أحد واضعيها جنباً إلى جنب مع العالمين الأمريكيين إدوارد سابير وبنجامين وورف. ولذلك لا يزال نظام المصطلحات في هذه المسألة غير منظم حتى وقتنا الحاضر [ينظر: 11، ص 49-50]. ومن بين ثلاثة مصطلحات هي "لوحة العالم" و"رؤية العالم" و"نموذج العالم"، جرى اختيار مصطلح "لوحة العالم" لكونه يعبر عن الجانب اللساني المتنوع واللاوعي الذي يذكر باللوحة، فلا يجب المطابقة بين لوحة العالم والفلسفة. فمهمة الفلسفة كانت دائماً طرح التصورات المجردة عن الإنسان والعالم. في حين أن لوحة العالم لا تنتج من التفلسف الواعي أو عن أيديولوجيا محددة. فهي "تنبثق في الأفعال المختلفة للإحساس بالعالم، والشعور به، وإستيعابه، وتقويمه، وإستيعابه". [4، ص 20]. هنالك أمر لغوي له علاقة بالتسمية الروسية وهي كون المصطلح الألماني أي "bild" يعني صورة ويعني لوحة في الوقت نفسه، ومنه أخذ المصطلح الروسي أي "اللوحة اللغوية" للعالم yazikovaya kartina mira. وعموماً فالموضوع كان جديداً على اللسانيات الروسية حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين بحيث أن المعجم الموسوعي - السوفيتي - اللسانيات لا يضم مادة معينة تخص الموضوع ولا حتى يجري ذكره في المعجم.

العلاقة بين الهوية اللغوية العربية والرؤية الدينية للعالم

مقدمة حول الجهود العربية في التعريف بالمصطلح

وحيث نتحدث عن الجهود النظرية بخصوص "رؤية العالم" في الدرس الأكاديمي العربي، يظهر لنا أنها شحيحة جداً. فعدا ما كتبه جورج طرابيشي في كتابه ذي الخمسة أجزاء "نقد العقل العربي"، وما ذكره سريعاً محمد عابد الجابري في مناقشته لمفهوم عالم اللسانيات الماركسية البولندي آدم شاف، لا نجد إلا بحثاً قليلاً خصت الموضوع. ومن جملة البحوث التي كتبت في الموضوع نجد بحثاً مترجماً لعالم اللسانيات البولندي الماركسي آدم شاف، المذكور آنفاً، في كتاب بعنوان "المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث"، وهو أنطولوجيا قام بترجمتها وتحريرها عبد القادر قنيني، وعنوان بحثه هو "اللغة والواقع". وأفردت مجلة "عالم الفكر" عدداً خاصاً بموضوع "رؤى العالم"، وأن جابر عصفور أصدر كتاباً بعنوان "رؤى العالم: عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر"، ورغم أن "رؤى العالم" ترد بوصفها مفصلاً مركزياً في عنوان الكتاب — إلا أن تناول جابر عصفور للموضوع أكثر من مبتسر ولا يرد فيه ذكر واضع النظرية نعني هومبليت ولا مؤسسي النسبية اللغوية، أي سابير وورف، بل إن المؤلف يتحدث فقط عن لوسيان غولدمان [ينظر: 12 أ، ص 5-18]. بل حين ننقل إلى مؤلفه الثاني "نظريات معاصرة"، حيث يفرد فصلاً عن "غولدمان ورؤية العالم"، نجده يتحدث عن لوسيان غولدمان فقط ولا يقدم بأية مقدمة نظرية عن المصطلح ومن وضعه ومن طوره لاحقاً. [ينظر 12 ب، ص 107-121]، نقول هذا لأننا نظن أن التعريف بمفهوم رؤية العالم ضروري جداً، بسبب كون الدراسات حوله شحيحة جداً في إطار اللسانيات والفلسفة والنقد في الدرس الأكاديمي العربي.

تقعيد المصطلح:

قبل أن نخوض في موضوع التفريق بين المفهومين، لا بد لنا من وضع مصطلحين في اللغة العربية لكل منهما. ولما كانت الترجمات العربية لا تبين أي المفهومين يجري الحديث عنهما، إذن الباحثين يذكرون فقط مفهوم "رؤية العالم"، دون أن نعرف هل يقصدون مفهوماً واحداً أم مفهومين، لذا وجب ترجمة المصطلحين أو تعريبهما لنضع الباحثين والقراء على بينة من المفهوم الذي نتحدث عنه. وبرأي الباحث أن الأفضل هو تعريب المفهومين، أي أن نقول "قيلت أنشاوونج" و "قيلت أنزشت" أو أن نقول "رؤية العالم" ونضع قبالتها المصطلح المعني بالألمانية. فنقول مثلاً "رؤية العالم" weltanschauung، وحين نريد إيراد المصطلح الثاني نقول "رؤية العالم" weltansicht. أو أن نترجم مصطلحين مختلفين في العربية كل واحد منهما يمثل أحد المصطلحين، فمن دون ذلك نخلق تشويشاً للباحثين والقراء في مجال الفلسفة وفلسفة اللغة، عدا الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع وعلم النفس والتربية والإعلام. وقد جرى أصلاً تعريب مصطلحات كثيرة منها الميتافيزيقا والأيدولوجيا والبرجوازية والبروليتاريا والسيমানطيقا والسيميوطيقا والهريمنطيقا، وأن الفلاسفة العرب القدماء قالوا بالاستطيقا عن علم الجمال والأثالوطيقا عن التحليلات والطوبيقا عن المواضيع، والأمثلة لا تعد ولا تحصى عن

التعريب الذي قام به المفكرون والمترجمون العرب قديماً وحديثاً. ولذلك ليس غريباً ولا مستهجناً أن نعرب المصطلحين الألمانين، ما دمنا قد قمنا أصلاً بتعريب مئات، بل لن نبالغ إذا قلنا الآلاف، من المفهومات والمصطلحات إلى العربية منذ ألف عام أو ينيف، وفي العصر الحديث أيضاً.

الجانب النظري في علاقة الهوية اللغوية العربية والرؤية الدينية للعالم

يقودنا الحديث عن "الرؤية اللغوية للعالم" الخاصة باللغة العربية إلى الحديث عن الرؤية الدينية للعالم، إذ نجدها ظاهرة خاصة بين لغات العالم. فالعربية لغة مقدسة. وفي حين ماتت جميع اللغات المقدسة بقيت هي حية. فقد ماتت اليونانية واللاتينية والسنسكريتية التي كتب بها كتاب "الفيدا" الكتاب المقدس لدى الهنود، وماتت البهلوية التي كتب بها "الأفستا" كتاب الزرادشتية المقدس، وماتت العبرية القديمة والسريانية والآرامية - المندائية التي كتب بها "كنزا ربا" كتاب الصابئة المندائيين المقدس، وماتت الروسية القديمة التي كانت رمزاً للكنيسة الروسية. والأمثلة كثيرة على اللغات المقدسة التي اندثرت، بسبب كون اللغة ظاهرة اجتماعية تتطور مع الزمن وتحل غالباً محلها لهجاتها.

بيد أن العربية استمرت كلغة حية، ولذا ارتبطت قداسة اللغة العربية بموضوع أنها اللغة التي كتب بها القرآن. ولذا نجد تداخلاً لا فكاك منه ترتبط فيه "الرؤية اللغوية للعالم" بالرؤية الدينية للعالم، فمن يريد معرفة الإسلام لا بد له أن يدرس القرآن المكتوب بالعربية، وأن دراسة العربية تتطلب معرفة بالقرآن، فهو بكل حال الوثيقة الوحيدة تقريباً التي تحفظ لنا طبيعة كلام العرب في زمن الجاهلية وصدر الإسلام. فالقرآن وثيقة حرس بشكل دقيق تقريباً، قياساً إلى الحديث النبوي مثلاً أو ما نقل إلينا شفاهاً من روايات عن الجاهلية وصدر الإسلام، أي عن طبيعة لغة تلك الحقبة. وكما يقول أدونيس معبراً عن طريقة تفكير الإنسان العربي "فالحقيقة ليست موجودة في العلم أو الإنسان أو الطبيعة، بل في النص" [13، ص 19]. فالنص القرآني يحمل في داخله الدين واللغة في التحام لا يمكن فصم عراه. فالقرآن ليس مثل الكتب المقدسة في الديانات الإبراهيمية، التي لم تنزل نصوصها على شكل وحي، بل تحدث القديسون والأنبياء فيها بتأويلات لمريديهم وتلاميذهم، كما في الأناجيل الأربعة، أو في العهد القديم، فهو كلام الله تعالى أملاه جبرائيل على النبي محمد (ص). ولذا نجد أن اللغة تكتسب قدسية خاصة تجعل المتحدث بها بحد ذاته ذا طابع قدسي. ولذا نجد الباحث اللغوي محمد مبارك في كتابه "فقه اللغة وخصائص العربية" يقول: "إن الأمة العربية أمة بيان والعمل فيها مقترن دوماً بالتعبير والقول، فلغة في حياتها شأن عظيم وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أمة من الأمم الأخرى" [14، ص 232].

الجانب الإجرائي: ظواهر تداخل الرؤية اللغوية الخاصة باللغة العربية مع الرؤية الدينية للعالم

من ظواهر تداخل "الرؤية اللغوية" و"الرؤية الدينية" للعالم هو النحو. فقد أقحم المنطق والفقه في موضوع النحو. فابن مضاء القرطبي في معرض حديثه عن نظرية العامل، عندما أراد نقدها، لكنه تطرف في إقحام الرؤية الدينية للعالم في اللغة والنحو، فهو يرفض قول علماء النحو: إن الفاعل مرفوع بعامله الفعل، ويعارض ذلك بقوله:

إن الفعل لله وحده ولا فاعل في الوجود غيره. وقد عارض هذا المنحى، أي إقحام الرؤية الدينية للعالم في النحو، مهدي المخزومي. فقد قام الفقهاء العرب بالقياس على المنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية، وقلدتهم علماء النحو، الذين أدخلوا نظرية العامل. فقد أورد. مصطفى السقا في معرض تقديمه لكتاب "في النحو العربي نقد وتوجيه" للمخزومي قائلاً "ومما تورط فيه النحاة قداماهم ومحدثوهم إلا فريقاً من أهل الكوفة، تعليل الأحكام النحوية بالعلل الفلسفية، مثل قولهم: إن الفاعل يجب أن يتأخر عن الفعل لأن الفعل عامل فيه، والمؤثر يجب أن يتأخر على المتأثر، وهذا حكم عقلي لا لغوي" [15، ص 11]. ويضيف د. مهدي المخزومي في الكتاب نفسه: "جاء سيبويه، وهو تلميذ الخليل، الذي كان أميناً في نقله عنه، ضابطاً لما أخذ منه، فأراد هو وتلاميذه تعقيد هذه الدراسة، وإحكام أصولها، فترخصوا في استخدام مصطلحات ليست من اللغة في شيء، كالعامل والمعمول، والناصب والجار، وغيرها، مما مهد السبيل للفلسفة الكلامية ولمنطق اليونان". [15، ص 11]. وهكذا يجري إقحام "الرؤية الدينية للعالم" عبر الفقه الذي جرى قياسه على منطق اليونان، في مجال، أي النحو، وجد لتسهيل التواصل بين البشر وتقليل سوء الفهم والاشتباه وبناء عليه وضعت الحركات. [ينظر: 16، ج 2، ص 307].

من مظاهر تداخل الرؤية اللغوية والرؤية الدينية للعالم في لغتنا هو موضوع المختصرات. فبسبب كثرة المختصرات في زمننا، وهو أمر يرتبط بتعدد الحياة وبالتالي كثرة الشركات والمؤسسات والمنظمات والتجمعات والنقابات والمجموعات والمفاهيم والمصطلحات الطبية والحاسوبية وأسماء الأدوية، افردت معجمات خاصة بالمختصرات في لغات كثيرة.

فهناك حوالى نصف مليون اختصار وضعت حتى الآن لمصطلحات مختلفة في مختلف المجالات والاختصاصات، [17، ص 2] رغم أن هذا العدد لا يمثل سوى قطرة في بحر إذا أخذنا موضوع تنوع المصطلحات وأسماء المؤسسات والشركات والعلوم والأدوية والأمراض وغير ذلك مما تمر به حياتنا من تنوع وتعدد في الظواهر.

وفيما يخص اللغة الروسية هنالك معجم يضم حوالى 6000 اختصاراً صدر عام 2004، ووضعته اللسانية الروسية سكلاريفسكايا، وفي اللغة الانجليزية وضعت الكثير من المعجمات في الموضوع، أشهرها معجم بنغوين للمختصرات ومعجم أكسفورد للمختصرات. أما في العربية، التي تعتبر أغنى اللغات على الإطلاق بالمفردات، فلا نجد أي معجم للمختصرات. لكن ما نريد قوله بهذا الخصوص: إن الرؤية الدينية للعالم تداخلت مع الرؤية اللغوية للعالم في هذا المجال بالذات، فظهرت لدينا مختصرات تخص المصطلحات الدينية فقط. فنحن نجد مختصرات مثل "صلعم" وهو مختصر لعبارة "صلى الله عليه وسلم" ومختصر "رض" و"ع" وأفعال هي مختصرات لعبارات مثل حوقل وبسمل هيعل، ونجد طغراء مطبوعة لعبارة صلى الله عليه وسلم. ونظن أن هنالك ثلاثة أسباب لقلّة المختصرات ولسيادة المختصرات المتعلقة بالخطاب الديني: السبب الأول: هو أن العربية لغة بلاغة، ولذا يجري التلذذ باستخدام العبارات بكاملها كي تعطي انطباعاً مؤثراً في السامع، وثانيهما: أن المجتمع العربي لا يهتم بالزمن ويرى أن التبذير بالورق ليس مهماً قياساً إلى لذة سماع العبارات الكاملة، وثالثاً: إن الاهتمام بوضع مختصرات لكلمات مركبة وعبارات لها علاقة بالخطاب الديني، لكون هذه الكلمات المركبة والعبارات تتكرر

بكثافة في الخطاب اللغوي والحياة اليومية والفكر، وهذه العبارات والمفردات لا نجدها في لغات أخرى كالإنجليزية والسويدية والروسية وهي اللغات التي أتابع ما يكتب بها دوماً، عدا لغات كثيرة أخرى في الغرب كالفرنسية والألمانية والإسبانية، اللهم إلا في مجال اللاهوت وهو مجال ضيق لديهم.

لقد دخلت بعض المختصرات في الخطاب العلماني والحداثي العربي ومعظمها يتعلق بتسمية منظمات وأحزاب مثل "فتح" وتعني "حركة التحرير الوطني الفلسطيني" بيد أنه جرى قلب المختصر كي يكون له معنى، وأن مختصر حماس يعني "حركة المقاومة الإسلامية". وهناك مختصرات ظهرت تخص منظمات وأحزاب عراقية مثل أوك وتعني "الاتحاد الوطني الكردستاني" و"حدك" وتعني "الحزب الديمقراطي الكردستاني" و"جود" وتعني "الجبهة الوطنية الديمقراطية". ونظن أن محاولة الاختصار في المجال العلماني أو الحداثي سببه احتكاك بعض العرب بالثقافات الغربية، بسبب تعلمهم اللغات الأجنبية أو بسبب سفرهم إلى الخارج للدراسة أو الهجرة واللجوء، ونظرتهم الحداثية التي تعني أن كثرة المختصرات يوفر الزمن والجهد الطباعي. لكن جهود وضع المختصرات ما زالت بائسة ونحتاج إلى تغيير للمفاهيم بخصوص دور اللغة بوصفها أداة للتواصل.

يرتبط تداخل الرؤية اللغوية والدينية للعالم بمفهوم التعليلية، ولنبيين ذلك نحتاج إلى مقدمة نظرية حول موضوع التعليلية أو ما يطلق عليه في اللسانيات الروسية "البنية الداخلية للكلمة"، إذ يظهر من نظرية التسمية علمان: أحدهما: مختص بالأسماء بوجه عام، أي أسماء الأشياء والنباتات والحيوانات والمفاهيمات وغيرها ويطلق عليه في الإنجليزية anomasiology، والآخر: يختص بأسماء العلم من أسماء الأشخاص والدول والمناطق والمدن والأنهار والجبال وغيرها، ويطلق عليه في الإنجليزية anomastics. تقسم الأسماء إلى فئتين: إحداها: تعليلية والثانية تسقط منها التعليلية. موضوع التسمية جرى تناوله منذ زمن الفلاسفة الإغريق وبشكل خاص إفلاطون، وعبر فيورباخ عن الموضوع فتساءل إن كانت التسمية علامة فارقة أم صفة تجذب إليها النظر، تجعل الناس يعدونها ممثل للشيء. وبعد فيورباخ تحدث فلهم فون هومبولت عن الموضوع وعدّ الكلمة كونها ليست مكافئاً للشيء الذي تشعر به الحواس، بل معادلاً للكيفية التي جرت فيها إدراكه عبر الفعل الكلامي الإبداعي في اللحظة الملموسة لاستبطان الكلمة. [ينظر: 18: ص 103]. ويعد عالم فلسفة اللغة الروسي بوتنبا التعليلية أو الهيئة الداخلية للكلمة كونها علاقة بين محتوى الفكرة والوعي. [ينظر: 19، ص 74]. فحين يتعرف الإنسان على شيء أو ظاهرة جديدة، فإن من بين الكثير من الصفات الظاهرة التي يملكها هذا الشيء أو الظاهرة يختار صفة واحدة يعتقد أنها صفة تعطي الشيء سمته أو شخصيته، وإذا فكل كلمة في لحظة ظهورها هي تعليلية وهذه التعليلية تخلق انطباعاتاً لدى المتكلمين بلغة معينة كونها هيئة داخلية حية للكلمة، لكن أن تلك التعليلية تختفي تدريجياً. [ينظر 20، الجزء الأول، ص 160-168].

تكمُن أهمية التعليلية في دراسة الرؤية اللغوية للعالم في كونها تربط الثقافة باللغة. فعبر تعليلية الكلمات نعرف طريقة تفكير شعب ما، وشخصيته. وبذا فالتعليلية تحتل موقعاً مركزياً في الرؤية اللغوية للعالم. ولو نظرنا إلى ظاهرة تداخل الرؤيتين اللغوية والدينية للعالم فيما يخص اللغة العربية، لوجدنا أن تعليلية الكلمات في العربية ترتبط بمثلث الوعي والواقع واللغة، إذ تكتسب الكثير من التسميات تعليلية منطلقها الرؤية

الدينية للعالم. فحين نقول: ملحد أو كافر أو مشرك أو عبدة النار أو زنديق، أو لوطي، أو زان، نجد أن كل هذه الكلمات تحمل تعليلية تختزن فيها طاقة نفسية- اجتماعية تقود دوماً إلى فكرة دينية تحكم اللغة. فاليوم مثلاً نجد أن مصطلحات كهذه محايدة في اللغات الأخرى، فمفردة كافر لا نجدها مثلاً في الانجليزية حيث أن المكافئ في الانجليزية سقطت فيه التعليلية مع تقدم الزمن، لكون المفردة أصلاً يونانية، فالمفردة هنا نعني atheist ذات توصيف محايد بمعنى أنها تصف الشخص ولا تتخذ منه موقفاً، حتى في اليونانية التي لم تزل تعليلية الكلمة فيها موجودة.

ولو ذهبنا إلى مثلث اللغة والفكر الديني والأبوي لوجدنا تعليلية معبأة بالطاقة النفسية- الاجتماعية مخزونة على مدى أربعة عشر قرناً. فلو أخذنا مفردة الزنى مثلاً لوجدنا أنفيها تعليلية تربط الفكر الديني بالفكر القبلي (الذكوري) بحيث تجري محاصرة اللغة وتقييدها بين هاتين الرؤيتين، رغم أن موقف القرآن من الزنا فيه نوع من المساواة في العقاب، عدا عن كون إثبات حدوثه الفعلي يتطلب شروطاً تعجيزية. ففي سورة النور الآية 2 يرد " الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" [21:سورة النور، الآية 2]، لكن الفقهاء اجتهدوا من منطلق ذكوري فظهرت أحكام فقهية وتشريعية مختلفة، وأن العرف القبلي لا يعاقب الرجل، بل إن المرأة تعاقب حد القتل، حسب العرف الموجود في بلاد عربية وإسلامية كثيرة. ومن أبرز الأمثلة على التداخل بين "الرؤية اللغوية" و"الرؤية الدينية" للعالم مفردة "النجاسة" فهذه المفردة لا يوجد لها مقابل حين نحاول ترجمتها إلى معظم اللغات الحديثة، فمعناها في العربية لا يستقيم مالم نأخذ بالاعتبار المفهوم الديني المتعلق بلأئحة من المحرمات أقرتها الشريعة الإسلامية. ولذا فترجمتها إلى dirt لن تعطيها المعنى المقصود. وهناك الكثير من الأمثلة على هذا النوع من الكلمات، يعكس كونها ظاهرة ترتبط بالتواشج والتداخل بين "الرؤية اللغوية" و "الرؤية الدينية" للعالم. وحين تحدثنا في أعلاه عن التعليلية، قلنا: إن تعليلية الكلمات تمتلك موقفاً مركزياً في الرؤية اللغوية للعالم. وهذا يقودنا إلى موضوع الترجمة ومفهوم المكافئ اللغوي. ولدينا ثلاثة أنواع من المكافئات هي المكافئ الكامل والجزئي وغياب المكافئ. [ينظر: 22، ص 5-7] والنوع الأخير، نعني غياب المكافئ، ظاهرة تشتهر بها العربية وترتبط بين الرؤية الدينية والذكورية للعالم والرؤية اللغوية للعالم، ومنشأ ذلك -كما نظن- يعود إلى كون الكثير من المفردات تتعلق بشرائع ومفاهيم وثقافة لم يعد لها وجود في اللغات الحديثة، والغربية منها خصوصاً، فلا تجد مثلاً مكافئات حية لمفردات "الرعية" و"ملك اليمين" و"الجواري" و"إهدار الدم" و"العورة" و"الزكاة" و"الخمس" وآلاف المفردات الأخرى. ويقدر كون المكافئ يتعلق بالمفردة، إلا أن هناك مكافئات تتعلق بالتعابير والأمثال أيضاً. فحين يقول شكسبير متغزلاً بحبيبته في السوناتة 18 Shall I compare thee to a summer's day? وترجم إلى العربية "هل أشبهك بيوم صيفي؟" تغدو الترجمة لا تناسب النفس العربية، إذ يخلق اليوم الصيفي تداعيات الحر والعرق والغبار، ويغدو الغزل هجاء. [23، ص 417]. وفي بحث أجرته باحثة روسية نجد أنها تؤكد على أن دراسة المفردات التي لا يوجد لها مكافئ معجمي في اللغات الأخرى، بسبب غياب المفهوم نفسه، اكتسبت أهمية خاصة فيما يتعلق بالرؤية اللغوية للعالم بالنسبة للطلبة الذين خضعوا لموضوع البحث. [24: ص 3].

وإذ تتداخل الرؤية الدينية في الرؤية اللغوية للعالم في مجال اللغة العربية يدخل لدينا عامل ثالث هو الرؤية الذكورية للعالم. فاللغة العربية لغة ذكورية بامتياز، وهذا يجعلنا نفكر في معضلة هي هل إن اللغة هي التي خلقت مجتمعنا الذكوري أو إن المجتمع الذكوري هو الذي خلق هذا النحو الذكوري بامتياز. وهكذا تداخلت ثلاثة ظواهر كلها تتعلق بجزء مركزي من البناء الفوقي، إذا استعنا بمصطلح المادية التاريخية، لتخلق تركيباً يربط الفكر باللغة والواقع فيه من التماسك ما لا يوصف، ومن الاتحاد ما يجعل من المستحيل فصم عراه. فالرؤية الدينية ترتبط باللغة واللغة مقدسة ينظمها النحو الذكوري، والواقع مجتمع ذكوري تسيره قوانين اللغة الذكورية والشرائع التي سنت من قبل فقهاء كلهم ذكور. فمع كون القرآن يميل جندرياً إلى المساواة، فتراه يذكر دوماً المؤمنين والمؤمنات والصالحين والصالحات، ويسنّ قوانين تعد ثورية في القرن السابع بخصوص مسائل الطلاق مثل ما يرد في سورة البقرة "الطلاق مرتان فأمسك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أوتيتم شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فتلك حدود الله فلا تعتوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون" [21ب: البقرة – آية 229]، أو ما يخص مسألة الزنا "والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا شهادة لهم أبداً وأولئك هم الفاسقون" [21ج: سورة النور الآية 4]. وهنا نلاحظ دفاعاً عن المرأة وحقوقها في مجتمع كان ذكورياً بامتياز. إلا أن المفسرين والفقهاء وعلى مدى 14 قرناً كانوا من الذكور، ولذا نجد أن التفسير والتأويلات سواء بوعي أو انطلاقاً من العقل الباطن، تميل دوماً لصالح الرجل. فنجد مثلاً اتفاقاً بين الفقهاء جميعاً سنة وشيعة على تفسير بضرب صفحاً عن الحقائق الدلالية والنحوية، الصرفية منها والتركيبية (السنتاكسية). ففي سورة الأعراف الآية 189 "هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها" [21د: سورة الأعراف الآية 189] نجد أن جميع المفسرين يتفقون على كون النفس الواحدة هي آدم، كما نجد مثلاً لدى الطبري أو ابن كثير. بيد أن النحو العربي يقول: إن كلمة نفس تعني التذكير والتأنيث سواء بسواء "العرب تقول رأيت نفساً واحدة فتؤنث وكذلك رأيت نفسيين فإذا قالوا رأيت ثلاثة أنفس أو أربعة ذكروا، وكذلك جميع العدد، قال وقد يجوز التذكير والتأنيث في الواحدة والتأنيث في الجمع، قال حكي جميع ذلك عن الكسائي، وقال سيبويه: وقالوا ثلاثة أنفس يذكرونه لأن النفس عندهم إنسان (التسويد من قبلنا- الباحث) فهم يريدون به الإنسان". [25، ج4، ص 3983]. وأن مفردة زوج في العربية تقبل التذكير والتأنيث. بيد أن المفسرين لم يصروا فقط على تفسير معنى النفس بكونها تعني آدم، بل انجروا إلى تفسيرات بنيت على أساس ما ورد عن قصة الخلق في التوراة، في كون حواء خلقت من ضلع آدم، فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق ثم تناول ضلعاً من وسد مكانها باللحم، وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم. [ينظر 29، التكوين 2، الآيات 21-22]. مع أن ذلك لم يرد ذلك في الآية القرآنية، التي يوحي أسلوبها بجو نوراني بعيد عن المسائل المادية.

ويبقى موضوع علاقة الرؤية اللغوية والدينية للعالم موضوعاً بكاملاً لم يخض فيه الباحثون ويتطلب معرفة بعلم شتى منها الحديث والفقه وعلم الرجال والجرح والتعديل والتفسير والتأريخ والاثروبولوجيا والأركيولوجيا والفلسفة وعلم الاجتماع، عدا العروض والنقد وبالتأكيد النحو العربي.

النتائج:

وهكذا فقد استعرضنا وصفيًا وتحليليًا تطور مفهوم "رؤية العالم" وظهور بحوث حديثة تؤكد الخلط بين مصطلحين في الألمانية، قام به أحد أهم إيقونات اللسانيات البنيوية الأمريكية، نعني بنجامين لي وورف، عدا الخلط بين رؤية العالم والأيدولوجيا، الذي انتهجته جملة من التيارات السياسية، أهمها النازية. واستعرضنا مفهوم "رؤية العالم" الخاصة باللغة العربية وعلاقتها بالرؤيتين الدينية والذكورية للعالم. واستعرضنا جهود اللسانيين الروس بخصوص المفهوم وتطوره ودراسته في اللسانيات الروسية الحديثة والمعاصرة. وأثبتنا أن ظاهرة علاقة الرواية اللغوية للعالم الخاصة باللغة العربية ترتبط بشكل لا فكاك منه بالرؤية الدينية والرؤية الذكورية للعالم، وأن هذه ظاهرة خاصة باللغة العربية بالذات. وتناولنا إشكالية ترجمة المصطلحين إلى اللغة العربية واقتراحات الباحث بخصوص الموضوع، وتناولنا إشكالية قلة الترجمات في الجانبين النظري والإجرائي لموضوع رؤية العالم، وموضوع قلة مؤلفات الباحثين العرب في مجال رؤية العالم، رغم كونه موضوعاً جوهرياً، إذ إن العلاقة بين الرؤية اللغوية للعالم الخاصة باللغة العربية بالرؤية الدينية للعالم هي ظاهرة فريدة في الموقف اللغوي الحديث والمعاصر، عدا كونها تحمل تشابكات وتعقيدات كبرى، إذا يرتبط الموضوع لمثلث الفكر واللغة والواقع، وكون ذكورية النحو العربي وذكورية المجتمع لدينا نحن العرب تتداخلان مع قداسة اللغة العربية المنطلقة من قداسة النص المقدس، أي القرآن الكريم، وهو أحد الأمور التي تقع في جوهر معالجة موضوع رؤية العالم وعلاقته بالهوية اللغوية العربية.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر:

- [1] - هومبولدت، فلهلم فون، اللغة وفلسفة الثقافة، موسكو، دار التقدم، 1985. Vilhelm von gombolt, yizik. 1985. i filosofia kulturi, progress, moskva, 1985 (المصدر مترجم من الألمانية إلى الروسية).
- [2] - سوسير، دي، فرديناند، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة ويد باسكين، تحرير Saussure, d.f., course in general linguistics, translated by Wade baskin, edited by Perry meisel and haun saussy, colombia university press, Newyork, Usa, 2011 (المصدر مترجم من الفرنسية إلى الإنجليزية).
- [3] - هيرتز، ج.، أسس الميكانيكا، موسكو، 1973. Gertz, G, prinsipi mekhaniki, Moskva, 1973. (المصدر مترجم من الألمانية إلى الروسية).
- [4] - سريبرينيكوف، ب. أ. (تحرير)، دور العامل الإنساني في اللغة: اللغة ولوحة العالم، موسكو، دار ناووك، 1988. Rol chelovekskovo v yazike: yazik i kartina mira, serebrinikov, B.A.(redaksia), 1988. (المصدر باللغة الروسية).

- [5] - آينشتاين، ألبرت، العالم كما أراه، ترجمة ج. ستارك عن الألمانية، ستوكهولم، يونيرس، 1934. Albert Einstien, min världsbild, översättningen från tyska av G.Stark, Bonniers, stockholm, 1934.(المصدر مترجم من الألمانية إلى السويدية).
- [6] - أندر هل، جيمس، هومبليت ولوحة العالم واللغة، أدنبرة، مطبعة جامعة أدنبرة، الولايات المتحدة، 2009. James Underhill, Hombuldt, worldview and language, Edinburgh university press, Edinburgh Usa, 2009. (المصدر بالإنجليزية).
- [7] أ - كويرنر، أي.، أف.، كي.، نحو تاريخ للسانيات الأمريكية، لندن، روتلج، 2002. E.F.K.Koerner, Towards a history of American Linguistics, University of Cologne, Routledge, London, 2002. (المصدر باللغة الإنجليزية).
- 7ب - كويرنر، أي.، أف.، كي.، فرديناند دي سوسير: الأصور والتطور في أفكاره اللسانية في الدراسات اللغوية الغربية، إنديانا، جامعة إنديانا، 1973. (المصدر باللغة الإنجليزية).
- [8] - موسوعة كيمبرج للغة، تحرير ديفيد كرسنل، ط2، كيمبرج، 1997. The Cambridge encyclopedia of Language, David crystal, 2nd edition, Cambridge, 1997. (المصدر بالإنجليزية).
- [9] - نوجل، ك، رؤية العالم: تأريخ مصطلح، كيمبرج، دار ب. إيردمانز، 2002. David K, Naugle, world view: The history of a concept, B. Eerdmans Publishing Co., Cambridge, 2002. (المصدر بالإنجليزية).
- [10] - المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، بيروت، دار أفريقيا الشرق، 2000.
- [11] - ف ف ماركوفاكين و أ ب ماركوفاكين. الأساس المعجمي للغة الروسية، موسكو، دار "اللغة الروسية"، 1984. Markovkin, F.F., Markovkina, A., B., leksicheskie asnova ruskova, 1984. (المصدر باللغة الروسية).
- [12] أ - عصفور، جابر، رؤى العالم: عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2008.
- 12ب: عصفور، جابر، نظريات معاصرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- [13] - أدونيس. الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والإتباع عند العرب - الكتاب الأول الأصول، لندن، دار الساقي، ط7، 1994.
- [14] - المبارك، محمد، فقه اللغة: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، بيروت، دار الفكر الحديث، بيروت، 1964.
- [15] - المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط2، 2005.

- [16] - طرابيشي، جورج، نقد نقد العقل العربي: وحدة العقل العربي الإسلامي، بيروت، دار الساقي، 2002.
- [17] - كنج، غراهام، المختصرات، إستراليا، كولنز وورد بور، 2014، .Graham King, abbreviations, (المصدر باللغة الإنجليزية).
- [18] - هوميلت. فلهلم فون، حول الفروق البنائية في اللغات الإنسانية وتأثيرها على التطور الروحي للإنسان، دار التقدم، موسكو، 1984. (المصدر باللغة الروسية)
- [19] - بوتنبيا، أ.أ. الفكر واللغة. كييف، 1992. Potebnya, misel i yazik, kiev, 1992. (المصدر باللغة الروسية).
- [20] - أ.أ. أوفيمتسوف و ب.أ. سريبرينيكوف (تحرير). التسمية اللغوية - المجلد 1، موسكو، دار ناووك، 1977. Yazikovaya nominatsiya, A.A. ofimtsova, B.A. Serebrinikov (redaktsia), isdatelstvo Nayk, Moskva, 1977. (المصدر باللغة الروسية).
- [21] - (القرآن الكريم أ، سورة النور، الآية 2).
- ب- سورة البقرة، الآية 229.
- ج- سورة النور، الآية 4.
- د- سورة الأعراف، الآية 189.
- [22] - سفينسن، بو، دليل علم المعجمات التطبيقي، ستوكهولم، دار نورستيتس، 1987. Bo svensén, 1987. (المصدر باللغة السويدية).
- [23] - برو، كولن (تحرير)، وليم شكسبير: السوناتات الكاملة والقصائد، مطبعة جامعة أكسفورد، نيويورك، 2002. WILLIAM SHAKESPEARE The Complete Sonnets and Poems, Edited by COLIN BURROW, oxford, newyork, 2002. (المصدر باللغة الإنجليزية)
- [24] - أفكار حول الرؤية الوطنية للعالم في الدورات الدراسية الخاصة بـ "اللغة الروسية للناطقين بها". بحث تقدمت به الباحثة الروسية تاتيانا فويتيليفا Tatiana Voiteleva في جامعة موسكو المحلية عام 2020 في مؤتمر الجامعة على الإنترنت. https://www.e3s-conferences.org/articles/e3sconf/pdf/2020/70/e3sconf_itse2020_18107.pdf
- [25] - ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب، مراجعة وتدقيق: د. يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، ج4، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005.
- [26] - الكتاب المقدس، دار الكتاب الشريف، بيروت 2007.